

محاضرات وندوات مصورة - الأردن - جامع التقوى - الحلقة ١٧٣ : الشرك الخفي والشرك الجلي
- قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٥-٠٦-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنّات القربات.

الفرق بين الشرك الخفي و الشرك الجلي :

أيها الأخوة الكرام؛ قال تعالى:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

[سورة يوسف : ١٠٦]

لذلك العلماء الأجلاء فرقوا بين الشرك الخفي والشرك الجلي، هناك شرك جلي، فالذين يعبدون بوذا في شرق آسيا هذا شرك جلي، الذين يعبدون أصناماً آلهة هذا شرك جلي، والحمد لله رب العالمين العالم الإسلامي ليس فيه شرك جلي، الشرك الجلي عبادة الصنم كأنه إله و هذا غير موجود عندنا، لكن المشكلة في الشرك الخفي، لذلك ورد في الأثر النبوي:

((أخوف ما أخاف على أمتي الشرك والشهوة الخفية. قلت: يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك؟ قال: نعم، أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً ولكن يراؤون بأعمالهم. والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه))

[أحمد عن شداد بن أوس]

أنت حينما تعمل عملاً لغير الله ترى هذا الذي تعمل له بيده شيء ينفك أو يضرك، هذا شرك، حينما تتوهم أن جهة في الأرض كائنة من كانت بإمكانها أن تنفك أو تضرك هذا شرك، لذلك ورد أيضاً في الأثر النبوي: " الشرك أخفى من ديبب النملة السمراء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء" ما قولك نملة على صخرة في ظلام الليل تتحرك؟ هل يوجد بالأرض جهة يمكن أن تعرف حركتها؟ "الشرك أخفى من ديبب النملة السمراء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على جور، وأن تبغض على عدل".

إنسان نصحك بأدب بينك وبينه، لم تتحمله، شرك أنت أكبر من أن تتصح، أنا أروي قاعدة دائماً: لا يوجد أحد أكبر من أن ينقد، ولا أصغر من أن ينقد، أبداً، أنا أقول كلمة نصيحة لكل منصب قيادي بدءاً من معلم صف إلى أعلى مستوى: الذي يصغي للمعارضة هذا ذكي جداً، ومركزه قوي جداً، وأي جهة قوية تلغي المعارضة تلغي النقد، من هنا قيل:

غداتي لهم فضل علي ومنة فلا أذهب الرحمن عني الأعدايا

* * *

الحياة إدراك انفعال فسلك :

هناك شخص يمدحك، الحقيقة يمدحك وله مقصد وأنت تصدقه، المديح المستمر، الإطراء المستمر، تتوهم أنك شيء عظيم، والحقيقة بطولتك كمدير مدرسة، كمدير دائرة، بأي منصب قيادي أن تفتح أذنيك للمعارضة، هؤلاء الذي ينتقدونك يخدمونك، يثبتون مركزك، فلذلك الزوج مثلاً لو علم أولاده أنا لست معصوماً، إن وجدتم شيئاً خاطئاً قولوا لي، يتنافسون في خدمتك، الإنسان عندما يتشبث بخطئه يصم أذنيه عن سماع النصيحة انتهى، لذلك قال تعالى:

﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾

[سورة التحريم: ٤]

أي أصغت، فرضنا إنسان واقف أمامك قلت له: على كتفك عقرب، بقي هذا الإنسان هادئاً وابتسم لك، وقال لك: أنا شاكر لك على هذه الملاحظة، وأسأل الله أن يعينني على أن أكافئك عليها، هل يكون قد فهم ما قيل له؟ لو فهم لقفز وخلع معطفه فوراً، لذلك قالوا: في الحياة قانون إدراك، انفعال، سلوك، فإذا ما تحركت الانفعال لا يحصل، وإذا ما انفلت الإدراك لا يحصل، إدراك، انفعال، سلوك.

شخص يمشي في بستان فوجد أفعى ما الذي يحصل؟ ترتسم الأفعى صورتها على شبكية العين، شبكية العين مساحتها ميلتر وتلت، مليون وثلاثمئة ألف مستقبل ضوئي، أكبر آلة ضوء احترافية ثمنها بالملايين، بالميلتر مربع يوجد عشرة آلاف مستقبل، العين ترى بطريقة معقدة جداً، فالإنسان حينما يرى أفعى تتطبع الصورة في الشبكية، والشبكية عشر طبقات، شيء لا يصدق، والعدسة التي أكرمنا الله بها لها محرق، والمحرق بالشبكية، والشبكية تتسع لمليون وثلاثمئة ألف مستقبل، الآن صورة الأفعى طبعت على الشبكية، إحساساً لا إدراكاً، تنتقل هذه الصورة إلى الدماغ إدراكاً، بالدماغ يوجد ملفات، ومن هذه الملفات ملفات الأفاعي والثعابين، من أين جاء؟ من عدة قصص سمعها من الجدة، ومن درس العلوم الطبيعية عن الأفاعي والثعابين، ومن مشاهداته في المعرض، المعلومات والقصص والحكايا، هذا الكم من المعلومات يشكل ملف الثعابين في الدماغ، هذه الصورة تنتقل من الشبكية إلى الدماغ، الدماغ يرى، دقق الآن الدماغ ملك الجهاز العصبي، والجهاز العصبي أداة النقل فيه الموجات الكهربائية، وكلكم يعرف أن الإنسان أحياناً يضع بطارية في قلبه، القلب لأنه عضو نبيل جداً، ولأن حياة الإنسان متعلقة بنبضه، لا يتلقى أمراً من جهات بعيدة عنه، يتلقى الأمر من ذاته، يوجد مركز كهربائي أول، لو تعطل هناك مركز كهربائي ثان، لو تعطل يوجد مركز كهربائي ثالث، ثلاثة مراكز كهربائية في القلب تعطي أمراً بالنبض، إلا أن الإنسان حينما يواجه عدواً، أو يصعد درجاً، أو كان مضطراً أن يبذل جهداً كبيراً يأتي أمر من الدماغ إلى الكظر، الكظر

غدة فوق الكلية، يوجد كظران فوق كل كلية كظر، وهذا الكظر حجمه صغير جداً شيء لا يصدق، ملك الجهاز العصبي الدماغ يرسل رسالة كهربائية لملك الجهاز الهرموني الغدة النخامية، الغدة النخامية ترسل وزير الداخلية الخاص بها، الكظر يتلقى أمراً من الغدة النخامية، هذه ملكة الغدد، وزنها نصف غرام، تفرز تسعة هرمونات لو تعطل أي هرمون لكانت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق، مما أذكره من الهرمونات هرمون توازن السوائل، لو تعطل يقضي الإنسان أربعاً وعشرين ساعة بين صنوبر الماء و الحمام، من هذه الهرمونات هرمون الجنس، ملامح الذكورة والأنوثة منه وهذا بحث طويل جداً.

الغدة النخامية تعطي أمراً للكظر أن هناك خطراً واجه الخطر، ماذا يفعل الكظر؟ الكظر يرسل أمراً إلى القلب، يرتفع النبض إلى مئة وثمانين نبضة، الخائف لو قاس نبضه لوجده مئة وثمانين، الكظر يرسل أمراً، الكظر بعد أول أمر رفع النبض فنبض الخائف من فوق المئة والستين، كان ثمانين، الآن هذا الكظر يعطي أمراً ثانياً إلى الرئتين فيرتفع وجيهما، حتى يتناسق التنفس مع النبض، تتنفس من أجل تصفية الدم من ثاني أكسيد الكربون، الكظر يصدر أمراً ثالثاً إلى الأوعية الدموية المحيطة بالجلد فتضيق لمعتها، الخائف لونه أصفر، لماذا؟ لأنه جاء أمر للأوعية أن تضيق فتحتها، هناك أعصاب إذا تنبعت تضيق، وإذا لم تنتبه تتوسع، إذا الإنسان صباحاً توضع وصلى ترى وجهه وردياً، أما الخائف فوجهه أصفر.

الكظر أعطى أمراً للقلب برفع النبض، وأمراً للرئتين برفع الوجيب، وأرسل أمراً للأوعية فتضيق، وأمراً للكبد فيفرز مادة سكرية إضافية، حتى تكون وقود الخائف سكره، تجد أن سكر الخائف حوالي مئة وأربعين، لم يعد تسعين، والكبد يفرز هرمون التجلط، حتى إذا ضرب الخائف بسكين لا يخسر دمه كله، عند الجرح الدم يتجلط ويغلق الجرح، أنت أين؟ أنت شاهدت أفعى في بستان، آلية معقدة جداً، هذا الإله العظيم يعصى؟! ألا يخطب وده؟! ألا ترجى جنته؟! ألا تخشى ناره؟!!

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمرى في المقال شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

* * *

التفكر في خلق السموات والأرض وفي خلق الإنسان :

إذا أيها الأخوة الكرام؛ هذا اجتهاد مني التفكر في خلق السموات والأرض والتفكر في خلق الإنسان، الدليل قال تعالى:

﴿ سَتَرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

[سورة فصلت : ٥٣]

العبد الفقير أكرمني الله و ألفت كتاب الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، الأول في الآفاق والثاني في الأنفس، والكتاب موجود بموقعي مجاناً، تضغط زر تحميل كتب، الكتاب بكامله مع غلافه مع

مقدمته يأتي لعندك مجاناً، نحن لا يوجد عندنا حقوق طبع، حقوق الطبع غير محفوظة، فأنت ممكن أن تتفكر في خلق السموات والأرض، إن عرفت الله عرفت كل شيء وإن فاتك معرفة الله فاتك كل شيء:

((ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[تفسير ابن كثير]

إذا الإنسان عندما يتفكر في خلق السموات والأرض قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾

[سورة آل عمران : ١٩٠-١٩١]

دقق الآن:

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران : ١٩١]

بالإفطار يكون أمامي كأس ماء، كأس الماس فيه خاصية قد لا تصدق، لولا هذه الخاصية ما كان هذا الدرس، ولا هذا الجامع، ولا كانت عمان، ولا الأردن، ولا الشرق الأوسط، ما كان هناك شيء إطلاقاً، ما هذه الخاصية؟ هذا الماء مثل أي عنصر تسخنه يتمدد، تبرده ينكمش، مثل الحديد والغازات والسوائل والجوامد تتمدد بالحرارة، تنكمش بالبرودة، لذلك الأبنية كلها لها فواصل تمدد، لولا فاصل التمدد لانهار البناء، يتمدد يوجد فراغ للتمدد، الآن الشيء الدقيق أن التفكر في خلق السموات والأرض هو الطريق الوحيد إلى الله، والدليل قال تعالى:

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة الجاثية : ٦]

إذا قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾

[سورة فصلت : ٥٣]

لو إنسان فكر بنفسه، كأس الماء إذا بردته انكمش، ماذا يعني انكمش؟ قل حجمه، وإذا قل حجمه ازدادت كثافته، وإذا الكثافة ازدادت يغوص، فلولاً أن الله عز وجل جعل في الماء خاصية إذا بردته ينكمش أي كانت درجة حرارته أربعين ثم خمس وثلاثين ثم خمس وعشرين ثم خمس عشر ثم عشر درجات، حتى إذا صارت درجة حرارته زائد أربع شيء لا يصدق، يتوسع الماء، والله قرأت مقالة من ثمانين صفحة من مجلة العلوم الأمريكية مترجمة في الكويت، أقسم بالله ألمني رأسي، كيف أن الماء بدرجة زائد أربع تنعكس الآية، بدل أن ينكمش يتمدد، لولا هذا القانون لما كان هناك حياة في الأرض، لأنه كلما تجمدت البحار التجمد يزيد الكثافة، فتغوص الطبقة العليا للأسفل، تتجمد يغوص، بعد حين تتجمد البحار تنعدم الأمطار، يموت النبات، يموت الحيوان، يموت الإنسان، والدليل

أحضر كأس ماء املاها إلى الأعلى تماماً وأحكم إغلاقها وضعها في الفريزر، تتكسر، الماء عندما يتمدد لا يوجد قوة توقفه، كيف صار الصخر تربة؟ يتخلل الماء بالصخر يتبرد يتوسع يصبح قطعة مستقلة، هل تصدقون أحدث طريقة لاقتلاع الصخور الآن يضعون أربعة ثقوب طويلة يملؤونها بالماء ثم يبردون الماء حتى يتجمد فيخرج المكعب، بهذه الطريقة يقلعون صخرة متراً بمتراً، أربعة ثقوب طويلة فيها ماء بطريقة يجمدونه وعندما يتجمد يتوسع فيقطع الصخرة، يوجد شيء بالكون عجيب جداً، هذا الشيء بين أيديكم أخواني، قال تعالى:

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة آل عمران : ١٩١]

التفكر مستمر وليس مرة واحدة، طعامك فيه آيات دالة على عظمته، الإنسان عفواً نقطة ماء، البويضة في اللقاء الزوجي يلحقها حوين منوي واحد، بعد تسعة أشهر صار طفلاً، يوجد بدماغه مئة وأربعين مليار خلية سمراء استنادية لم تعرف وظيفتها بعد، في رأس الإنسان ثلاثمائة ألف شعرة، لكل شعرة شريان، ووريد، وعصب، وعضلة، وغدة دهنية، وغدة صبغية، شبكية العين مليون وثلاثمائة ألف مستقبل ضوئي، قال تعالى:

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات: ٢١]

الإنسان عندما يعرف من هو الله، يعد للمليار قبل أن يعصيه، من هو الله؟ قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾

[سورة البلد : ٨]

هذه العدسة لكنها مرنة، يوجد عضلات إذا الجسم بعيد العضلات الهدبية تضغط عليها فيزداد احتدادها، يأتي الخيال على الشبكية وأنت لا تنتبه تفقد سيارتك، هناك مكان بعيد رأيتك، أو ملعب كرة قدم ترى الكرة و هي بعيدة، أنت تتابع الأشياء بدقة بالغة وكأنها تقع في المحرق، من وضعها في المحرق؟ العدسة بمرونتها، يأتيها ضغط يزداد احتدادها، تقترب يصبح محرقها هنا، والمحرق ثابت هو الشبكية، وهي متبدلة، أما في الفيزياء فنحضر عدسة ونضع شمعة ونحضر كرتونة، نبقى نحرك الكرتونة حتى يأتي الخيال على الكرتونة، هذا المحرق الخاص بالعدسة، أنت عينك فيها عدسة، والمحرق ثابت، وأنت ترى الأشياء المتحركة، كيف؟ هذه العملية أعقد عملية بالإنسان اسمها المطابقة، لأن هناك جهة ثالثة تقيس المسافة وتضغط على العدسة فتزيد من احتدادها يتغير المحرق ويأتي على الشبكية، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾

[سورة البلد : ٨]

إذا شخص سافر إلى روسيا، أنا كنت في فنلندا، الحرارة عشرون تحت الصفر، وأعلى برودة ستون تحت الصفر، وأنت بعينك يوجد ماء، لماذا الماء لا يتجمد؟ لو تجمد لانتهى البصر، الله عز وجل أودع بماء العين مادة مضادة للتجمد.

الطفل الآن ولد، يضع فمه على ثدي أمه يمص، المص عملية معقدة جداً، أن يضع شفثيه على حلمة ثدي أمه، وبحكم الإغلاق، ويسحب الهواء فيأتيه الحليب، هل هناك قوة تعلم الطفل، يا بابا من أجل أن تعيش مص حليب أمك، ضع شفثيك على ثدي أمك وأحكم الإغلاق واسحب الهواء فيأتيك الحليب، هل هناك قوة تعلم ابنك هذا الشيء؟ الآن ولد؟! علماء النفس سموه: منعكس المص، و هو آلية معقدة جداً من دون تعليم، الإنسان عنده منعكس المص لولاه لما كان هناك حياة، ولما كان هذا الدرس، و لما كانت الأردن، ولما كان هناك شيء في الأرض لولا هذا المنعكس، منعكس المص.

من ازداد علماً بدقائق الخلق ازداد خشوعاً و طاعة لله :

البحث في جسم الإنسان شيء لا ينتهي، وكلما ازددت علماً بدقائق الخلق ازددت خشوعاً، وكلما ازددت خشوعاً ازددت طاعة الله عز وجل، لذلك التفكير في خلق السموات والأرض أوسع باب ندخل منه على الله، وأقصر طريق تصل به إلى الله، والشيء بين يديك، كأس الماء فكر به، الخبز، ما هذا الخبز؟ المادة الأولى للإنسان، غذاء كامل، والساق السنبله ماذا فيه؟ تين، هذا التين غذاء كامل للبهائم، القمح غذاء كامل وساق السنبله غذاء كامل للبهائم، أطعمنا من جوع، وأطعم البهائم من جوع أيضاً، الإنسان فقط يفكر يعرف الله عز وجل، إذا عرفه يعد للمليار قبل أن يعصيه.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين